



المعركة على إعادة توزيع ثمار التفوق اليهودي
آفي رام تسوريف، الموقع الإلكتروني لمحادثة محلية

ترجمة: مصطفى إبراهيم

يوم الثلاثاء الماضي، بعد ظهور نتائج العينات والتحديتات الخاصة بهم، واصلت مشاهدة تلفزيون كان 11. بعد بث خطاب إيتمار بن غير، بدأوا يتحدثون بالفعل عن الأسباب التي دفعت الناس للتصويت له. مع ذلك، كان بن غير على ما يبدو أحد المسؤولين الرئيسيين، إلى جانب شاس، عن زيادة نسبة التصويت بين الجمهور اليهودي، وخاصة في مدن الجنوب.

وزعموا خلال النقاش، وبحق، أن الاصوات التي ذهبت إلى بن غير هي "الحكم" والأمن الشخصي، وهو ما يضعه في إطار مفهوم "الإرهاب الداخلي" وضرورة إظهار "من هو صاحب البيت هنا". مثل معلمه وحاخامه، مئير كهانا، الذي استخدم في انتخابات عام 1984 مفهوم "العمل العبري" لدعم اليهود الشرقيين الذين تضرروا اقتصادياً من التغييرات في تكوين سوق العمل الإسرائيلي بسبب وجود العمال الفلسطينيين، نجح بن غير في التقاط قضية ذات جوانب اجتماعية وطبقية وعرقية وجغرافية مميزة، وتسخيرها للإطار العنصري الذي يسعى إلى تعزيره.

ومع ذلك، لم يسمع أي اعتراض في النقاش - اعتراض بمعنى الرد على القضية الملموسة وتقديم بديل حقيقي - يمكن من خلاله فهم الموقف وأسبابه وطرق تصحيحه. نشير إلى عنف الدولة، ومساهمة الدولة في إنشاء بنية تحتية للجريمة، وسبل مواجهتها. كان النقاش تعبيراً آخر عن السياسات الفارغة لكتلة التغيير. في الواقع، جميع الردود عبرت عن اتفاق مع إطار بن غير، إلى جانب الاستياء منه، وعنف العصاة التي يقودها.

في الواقع هذه هي السياسة التي قادتها هذه الكتلة في العامين الماضيين، سياسة الإنصاف. أعطونا مثل هذا العنف الملتوي الشرير، لكن الله لا يسمح لهذا الرجل المجنون، الذي لا يخشى إخراج السلاح. هذه هي السياسة نفسها لمنظمات الآباء المشبعين، الذين عرفوا كيف يتعارضون مع النضال الذي يخوضه معلمو أبنائهم من أجل الحصول على رواتب مناسبة.



ترجمة خاصة

private translation

هذه هي السياسة نفسها التي قادت سياسة اقتصادية ليبرالية جديدة بسلسلة من المراسيم، وهو أمر يصعب عدم رؤيته أن ذلك يشكل الأساس لخروج كثير ممن صوتوا لشاس هذه المرة إلى صناديق الاقتراع.

سياسة الحشمة هي في الأساس سياسة البرجوازية الأرستقراطية. إنها خائفة من الوصول إلى الجمهور، ومن السياسة الشعبية. في الواقع، هذا هو النقيض التام للسياسة اليسارية. في السياسة اليسارية، يجب التركيز على هذه القضايا السياسية. من المفترض أن يمثل هذا النوع من السياسة هذا الجمهور، وليس الطبقة الوسطى - العليا.

ومع ذلك، في هذا السياق، من السهل أن نرى كيف أن صعود شخصية مثل بن غفير، والقضايا التي يثيرها، مرتبطة بشجاعة بحقيقة أن المجتمع اليهودي في إسرائيل هو مجتمع استيطاني، وأن عملية التوسع تحدث السبل الاجتماعية التي تشارك في السلطة السياسية بالتزامن مع تعميق السيطرة الاستعمارية.

"الدمقرطة" في المجتمع الاستيطاني

عُرفت فترة ولاية الرئيس الأمريكي السابع، أندرو جاكسون، بعد فوزه في انتخابات عام 1828، في التأريخ الأمريكي باسم "عصر الرجل العادي". إنه يمثل نقطة تحول في ميزان القوى داخل مجتمع المستوطنين البيض الأمريكيين.

قبل صعود جاكسون، كانت مراكز السلطة مملوكة لشخصيات جاءت من جمعيات المستوطنين القديمة والتميزة. عاشت هذه المجموعة في الغالب في المناطق الشمالية الشرقية من الولايات المتحدة، وخاصة في المدن الكبرى، لكن شريحة السكان التي تمثلها كانت تتضاءل.

في المقابل، بدأت المجموعات الشعبية بالتشكل، والتي طالبت بتوسيع الجمهور الذي قد يشارك في الحكومة. مثلت هذه المجموعات مصالح المزارعين الشباب والمهاجرين الجدد من أوروبا، الذين استقروا في المناطق الغربية من الولايات المتحدة، فيما يسمى "الكتاب الأمريكي".

دعت هذه المجموعات إلى سياسة التوسع غير المحدود، والتي لم تعترف بالتحالفات التي تم التوصل إليها والعقود الموقعة مع مجموعات السكان الأصليين، وطالبت الحكومة الفيدرالية بالوقوف وراءها أثناء استيلائها بالقوة ورأس المال على أراضي السكان الأصليين.



ترجمة خاصة

private translation

بعبارة أخرى، في حين أن مجموعات النخبة من المستوطنين القدامى، الذين طردوا مجموعات السكان الأصليين الذين أقاموا مدنهم على أراضيهم، قد أسسوا أنفسهم بالفعل وشكلوا ترتيبات قانونية مختلفة مع السكان الأصليين، مجموعات المستوطنين الأصغر سناً، الذين لم يفعلوا ذلك. تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية الأمريكية، أرادت مواصلة سياسة الاستعمار.

صعود جاكسون - مزارع من ولاية تينيسي كان يُنظر إليه في ذهن الجمهور على أنه شخص صنع ثروته بنفسه وتجسيداً نهائياً لرائد الأعمال الأمريكي الشاب - كان يُنظر إليه على أنه تعبير عن "التحول الديمقراطي"، وكان انتصار شعبي على المؤسسة الأرستقراطية. في حين أنه داخل الحدود الضيقة لمجتمع المستوطنين البيض، كان لهذه الصورة شيء يمكن الاعتماد عليه، فإن ادعاءات ذلك "الأشخاص" الذين يمثلهم جاكسون كانت تستند إلى كونه جزءاً من مجتمع المستوطنين، وبالتالي على حقه في المشاركة في الامتيازات التي نتجت عن تفوقها.

في الواقع، تباهى جاكسون بالسياسات العنيفة التي قادها تجاه السكان الأمريكيين الأصليين. حتى كقائد في الجيش الأمريكي، وكذلك كرئيس، كان مسؤولاً عن سياسة وحشية لمصادرة وترحيل القبائل الأصلية التي عاشت في الشرق. طعن في صحة المعاهدات التي وقعتها الحكومة الفيدرالية مع السكان الأصليين.

وكان أبرز تعبير عن هذه السياسة هو ترحيل قبيلة الشيروكي، خلافاً لقرار صريح للمحكمة العليا - اعتبره جاكسون أحد رموز النخبة القديمة - أكد صحة العقود الموقعة مع القبيلة. تجاهل جاكسون الحكم بشكل صارخ، وفي وقت لاحق، في عام 1838، في عهد خليفته، مارتن فان بورين، طُرد 18000 شيروكي بعنف من مكانهم في جورجيا، بعد احتجازهم في معسكرات الاعتقال، ونقلوا آلاف الأميال سيراً على الأقدام، دون الإمدادات أو الطعام، وراء نهر المسيسيبي، على الطريق الذي أطلق عليه لقب "مسار الدموع". مات الآلاف من رجال القبائل في مسيرة الترحيل.

تعكس شخصية جاكسون الديناميكيات الملثوية لما يُنظر إليه خطأً على أنه "دمقرطة" في المجتمعات الاستيطانية. في هذا السياق، فإن "الدمقرطة" تتعارض مع الطبقة القديمة والعالية، التي فازت بالفعل بثمار النهب والمصادرة، واستقرت ورسخت نفسها. أولئك الذين عارضوا هذه الطبقة كانوا مجموعة كانت جزءاً من المجتمع الاستيطاني، لكنها لا تنتمي إلى نخبتها.



ترجمة خاصة

private translation

ما يسمى خطأ "الدمقرطة" هو الادعاء بالمشاركة في التمتع بالثمار المتفوقة للمجتمع المستعمر. في هذا السياق، حتى السكان الأصليون أنفسهم، ضحايا النظام الأعلى، مستعدون للاعتماد على المجموعة الأرستقراطية، لأنه في اللحظة المتأخرة الملموسة، يقل تهديدهم لهم. علاوة على ذلك، فإن الأهالي مستعدون حتى لإلقاء ذهبهم على المؤسسات التي تحمي قواعد نظام المجموعة الأرستقراطية، لأنهم يدركون في المجموعة المتمردة ضدها، وهم محقون في ذلك، خطرًا ملموسًا أكثر بكثير.

أنماط العنف مختلفة

في حين أن النخبة الراسخة هي ممثلة "العنف العادل"، تلك التي أصبحت فجأة حليفة للسكان الأصليين، يتم تحديد النخبة الجديدة في مجال تربية المواشي بالعنف الفردي، وعنف الغربيين، الذين رمزهم هو شخصية العمدة، الذي يفرض "القانون والنظام" ضد المقاومة المحلية لتحركات الاستعمار.

صدمة كاذبة

إن محاولة إجراء مقارنة بين الولايات المتحدة في النصف الأول من القرن التاسع عشر وإسرائيل عام 2022 تقف على ركبتي الدجاج. ومع ذلك، من الصعب عدم التعرف على بعض نقاط التشابه. بن غفير، من ناحية، ممثل لمجموعة كانت جزءًا لا يتجزأ من المجموعة القائمة، المجموعة التي تمتعت بالفعل بثمار الاستعمار - الصهيونية الدينية.

لكن كما يتضح من زيادة نسبة الأصوات في المدن اليهودية في النقب بشكل عام، ولحزب "الصهيوني الديني" بشكل خاص، يبدو أن الانجراف الرئيسي في اتجاهه كان قائمًا على دعاية "ماشيلوت". من اللافتات الدعائية التي زرعتها الصهاينة المتدينون وعوتسما يهوديت، يظهر الانقسام بين مقربي الحزبين. لم يروا وجوه سموتريش وبن غفير جنبًا إلى جنب على أي لافتة.

في يروحام، المدينة التي أعيش فيها، كان هذا ملحوظًا. حتى الأسبوع الماضي قبل الانتخابات، تضمنت اللافتات التي علقت على جوانب الشارع الرئيسي، بالإضافة إلى لافتات الليكود وشاس ويهدوت هتورا، "ما تختاره هو ما تحصل عليه" لافتات للصهيونية الدينية. على جدران البيوت كانت لافتات بن غفير بارزة جدا مع عبارة "من صاحب البيت هنا؟".



ترجمة خاصة

private translation

إذا تجاهلنا للحظة الصدمة الكاذبة التي أصابت بعض أعضاء يسار الوسط الصهاينة على صوت شعار بن غير، وتذكرنا أنهم من يروجون لمفهوم عنيف مماثل لكونهم "أصحاب البيت" في المنطقة (والسجل الرهيب للحكومة السابقة - ازدياد العنف والمضايقات بحق الفلسطينيين، والطرد من مسافر يطا، وحظر ست منظمات حقوقية فلسطينية - سيثبت)، يجدر الأخذ بعين الاعتبار أن قوة هذا الشعار تنبع من حقيقة أنه يتعامل بدقة مع هؤلاء الأشخاص الذين يفتقرون إلى الشعور الواضح بأنهم "صاحب بيت"، على الرغم من أنهم ينتمون إلى مجموعة، على ما يبدو، يجب أن تمتلك البيت من هنا الطريق إلى الرغبة في السلطة، اليهودية بالطبع، قصير. وعود التوسع الهائل من بن غير وأراضي شومر هي لفئة النخبة التي جاء منها، أي الصهيونية الدينية، لكنه يحمل وعدًا آخر للمجموعة التي يخاطبها الآن: السلطة. وحقيقة واضحة أن الأشخاص الذين يتحدث إليهم غائبون عن الجماعات التي كانت تتمتع بثمار التفوق اليهودي في إسرائيل منذ سنوات.

في محاولته تشكيل النقب كمنطقة بدون "حكومات"، قام بإنشائها ككتاب، كغرب متوحش، يحول شخصيات مثله، أو منظمات أخرى مثل "نيو جارديان"، إلى شريف قوي تعالوا لإحلال النظام في الحي، لحماية منجزات الاستيطان، بدلاً من المؤسسة الأمنية المصابة بأوبئة الطبقة الأرستقراطية. قصة بن غير وهو يسحب البندقية في الشيخ جراح بالقدس الشرقية، المكان الذي يعبر عن اهتمامه الحقيقي، تضيف فقط إلى تعزيز صورته كشريف أو عمدة لا حدود له.

الجواب هو إنهاء الاستعمار

في عيون أولئك الذين هم على دراية قليلة بالوجود المكثف للشرطة في القرى غير المعرفة في النقب - وهو وجود لا يهدف إلى مكافحة معدلات الجريمة المرتفعة، ولكن لهدم المنازل بشكل متكرر - الادعاءات حول عدم وجود "شرطة" لا يسعنا إلا أن يثير الضحك. ومع ذلك، تظل مسألة السلطة السياسية التي اكتسبها بن غير بفضل استخدام هذا الشعار قائمة.

عندما تنتقل الجريمة الجسيمة في المجتمع الفلسطيني - وأول ضحاياها من الفلسطينيين والنساء - إلى الجمهور اليهودي، فإن أول من يعاني من ضررها قد يكون أفراد الطبقات الدنيا، وخاصة أصحاب الأعمال الصغيرة المطلوب منهم لمدفوعات الحماية. قدرة بن جابر على إدراك هذه الإصابات، ووضعها كقضية، سر سلطته السياسية.



ترجمة خاصة

private translation

ينجح بن غير في ذلك من خلال التأطير الذي يقدمه للضرر والمزاعم السياسية الناشئة عنه. حسب قوله، هذا عنف وطني، وبالتالي يجب أن يكون الادعاء بالسلطة الوطنية التي يفترض بطبيعة الحال أن يكون ناخبه جزءًا منها. أي أنه ادعاء بأنهم سيستفيدون هم أيضًا من ثمار التفوق اليهودي. بصفته شريفًا قادرًا على إخراج البندقية من جيبه في أي وقت يحتاج إليه، يُنظر إليه على أنه تجسيد لهذه القوة.

كما استفاد بن غير من عملية مهمة حدثت بين الأرثوذكس المتطرفين والمزاحيين التقليديين بعد وفاة الحاخام عوفاديا يوسف في عام 2013. لأنه كان محور الانتماء للتوراة، تمكن الحاخام عوفاديا من كبح جماح قبضة المواقف القومية بشكل عام، والمواقف الكاهانية بشكل خاص، في جمهوره. مع وفاته، كان الحاخام مئير مزوز هو الشخص الذي شغل هذا المكان، حيث خلقت مواقفه القومية العكس تمامًا: تركيز يمكن ويثبت الارتباط بالكاهانية على أنه شرعي. قدم هذا التغيير أساسًا لمواقف بن جابر بين هذه المجموعات أيضًا.

وقفت أمام بن غير سياسة النزاهة لكتلة التغيير. في الصراع الحالي بين العمدة ورئيس الأركان، كما كتب أورلي نوي، انتصر الشريف، ممثلًا النضال الشاب الجامح للقوى الشعبية على ما يبدو ضد النخبة العسكرية الراسخة، مما يحول دون إطلاق يد الزناد.

في الديناميكيات المشوهة لإرساء الديمقراطية في المجتمعات الاستيطانية، تبدو هذه العملية ضرورية تقريبًا، طالما استمرت (وهي موجودة في إسرائيل) ضمن الحدود الواضحة للنظام الاستعماري. لا يمكن للمعارضة السياسية الجوهرية لـ بن غير، والتي تتجاوز الصدمة العادلة للمجتمع البرجوازي الإسرائيلي، أن تنمو إلا من تقديم بديل سياسي منظم لادعاءاته، والاستجابة للاحتياجات التي يسخرها لصالحه.

مثل هذا البديل ممكن فقط من خلال المطالبة بإنهاء الاستعمار ومن انتقاد السياسة النيوليبرالية في إسرائيل. أي من فسخ العلاقة بين المطالبة بالشراكة السياسية والتفوق اليهودي. مثل هذا البديل من شأنه أن يمكن من مناقشة زيادة معدلات الجريمة في المجتمع الفلسطيني، وليس ضمن الإطار العنصري "العنف في المجتمع العربي". كما أوضحت حنين زعبي وإيلات معوز، فإن الزيادة الهائلة في قوة المنظمات الإجرامية هي نتيجة مباشرة للسياسة الإسرائيلية النيوليبرالية من جهة، ولإنكار المطالبات الفلسطينية بالمساواة المدنية والوطنية على يد أخرى



ترجمة خاصة
private translation

وبهذه الطريقة تصبح التنظيمات الإجرامية أداة مهمة في يد الدولة لزيادة الحكم داخل المجتمع الفلسطيني، وخاصة لمنع أي تنظيم فلسطيني جماعي من مقاومة القمع الاستعماري الذي يمارسه ضده.

تعد الجريمة، التي تعد أحد التهديدات اليومية المتميزة لحياة الفلسطينيين، جزءًا لا يتجزأ من التكوين العام للسيطرة الاستعمارية، ولا يمكن التعامل معها دون الإشارة إلى هذا المركب، دون معالجة جذرية - بمعنى النزول إلى الجذر. - في الظروف التي تجعل ذلك ممكنا. من أجل التحرر من النمط المشوه للمطالبة الذكورية بالمشاركة في توزيع كعكة التفوق اليهودي، هناك حاجة إلى اللغة السياسية التي ستفكها، اللغة السياسية لإنهاء الاستعمار.

- آفي رام تسوريف، زميل ما بعد الدكتوراه في أكاديمية بولونسكي في معهد فان لير في القدس.